برنامج [قـرآنـهـم] - الحلقة (10) سورة الأعراف ج (7)

الاثنين : 16 شهر رمضان 1438هـ الموافق : 2017/6/12م

✤ آخر آيةٍ وقفتُ عندها هي الآية 24 من سورة الأعراف: {قال اهبطوا بعضُكم لبعضٍ عدوّ ولكم في الأرض مُستقَرٌّ ومَتاعٌ إلى حين}. والخِطاب في الآية لأبينا آدم وأمّنا حوّاء وإبليس.. وهنا تبدأ مسيرةُ الإنسان على وجه الأرض. قصّة أبينا آدم وأمّنا حواء بحاجة إلى تسليط الضوء أكثر وأكثر، ولكنّي أكتفي بما تقدّم.. وإنْ سنحت فُرصة أخرى في هذا البرنامج فسأتناول - إن شاء الله - جهات منها لم أتناولها في هذهِ الحلقات.

● قول الآية {مُستقرٌّ ومتاعٌ إلى حين} هذا التعبير (مُستقرٌّ) أي تستقرّون فيها إلى اليوم الذي تُغادرون هذا التراب، فما لكم من عَودةٍ إلى حيثُ كنتم، وما لنا نَحنُ أبناء آدم مِن عودةٍ إلى المكان الذي جاء منه أبونا، فمُستقرّنا في الأرض.

هذا التعبير (مُستقرٌّ) من دون (إلى حين) يعني البقاء الدائم على الأرض، ولكن جاء التعبير {إلى حين} يعني إلى زمنٍ مُعيّن، حتّى يَحكم الأجل.

● (مُستقرّ) المُستقرّ المكان الثابت.. وهذا التعبير يُشير مِن جهة إلى حالنا، فنحنُ مِن جهة مشدودون إلى تربة الأرض، ومن جهة أخرى هناك ثقافةٌ ونظامٌ وبرنامجٌ وضعهُ اللهُ تعالى وعَلّمنا إيّاه أئمّتنا، فهذا إمامنا الحَسن المُجتبى هو الذي يقول وهو يُخاطب الإنسان: (اعملْ لِدنياكَ كأنّكَ تعيشُ أبداً، واعملْ لآخرتك كأنّك تموتُ غدا) فالأرض مُستقرٌّ نتعامل معه هكذا.

نظرياً هَذا هو البرنامج.. ولكن عملياً نَحنُ لا نَعمل به، فالعَمل بهذا البرنامج يَحتاجُ إلى توفيق.. نَحنُ نَعملُ ببرنامجٍ آخر.. ذلكَ البرنامج صَنعناهُ بالشراكةِ مع إبليس، بالجهلِ والأوهام وبالوساوس والخُطط الإبليسية صَنعنا برنامجاً آخر يُخبرنا عنه سيّد الأوصياء حين يقول:

(إنّي لا أعرف يقيناً لا شكّ فيه صار شكاً لا يقين فيه مثل الموت). فالموتُ يقين لا شك فيه، ولكننا نتعامل معه في حياتنا على أنّه شكٌّ لا يقين فيه! والبقاء مشكوكٌ بالنسبةِ لنا في أيّ لحظةٍ مِن لحظاتِ حياتنا، لكنّنا نتعامل مع البقاء بشكلٍ يقيني وكأنّنا باقون خالدون مُخلّدون!

سيّد الأوصياء هنا يتحدّث عن الطَبيعة البشرية.. يُخبرنا عن هذه الحقائق التي نَعيشُ فيها وهي حَولنا، ولكنّنا لا نُبصرُ العواقب ولا نُبصر ما يجري حولنا، ولا نُبصِر ما نَحنُ فيه.. (ما بين الغفلةِ والجهالةِ والسفاهةِ والتمويه الإبليسي.. هكذا تجري الأمور)!

● {ومَتاعٌ إلى حين} المتاعُ هو ما يتغيّر مِن شُؤوناتنا.. يُمكن أن يكون متاعُ الدنيا في (لباسها، وطعامها وشرابها، ونومها وراحتها ودوائها سائر ما يَحتاجه الإنسان..) متاع الدنيا هي ما يحتاج إليه الإنسان وهو يعيش على هذا التراب قبل أن يُغادرها إلى باطن التراب.

■ {قال فيها تَحيُون وفيها تَموتون ومنها تُخرجون} هُناك تنتهي سُطور حياتكم على هذا التراب فتَعودون إلى باطن هذه الأرض.

● {منها تُخرجون} : أي في الرَجعة لِمن كان راجعاً، ومنها نُخرجُ إلى القِيامة حينما يُحشَرُ الجميع. إلى هنا تنتهي حكاية أبينا آدم وأُمّنا حواء.

■ {يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سَوآتكم وريشا ولباسُ التقوى ذلك خَير ذلكَ مِن آيات الله لعلّهم يذّكرون} هنا الخِطاب يتوجّه إلى وُلد آدم.

● {قد أنزلنا عليكم لباساً} الحديث عن الإنزال هُنا ليس مِن جهةٍ عاليةٍ مَكاناً، وإنّما مِن جهةٍ عاليةٍ رُتْبةً.. الإنزالُ من منابع الفيض، ومنابع الفيض التي نتحدّث عنها هي الأسماء الحسنى.. كل فيضٍ في هذا الوجود الذي حولنا، هذا الفيضُ هو من تلك المنابع وتلك المنابع هي الأسماء الحسنى.

فالتعبير {قد أنزلنا} هو حديثٌ عن علوّ المنزلةِ والمقام والمرتبة وليس العلوّ المكاني.

● مِن منابع الفيض لم ينزل علينا لِباسٌ مَخيط، وإنّما المراد في مِثل هذهِ الآيات هي القُدرة بتجلّياتها التي تظهرُ في الإنسان في جهة منها، وفيما حول الإنسان من جهة أخرى (إبداع الإنسان في صناعة ثيابهِ، هذا الإبداع جاء من منابع الفيض، وقُدرة الإنسان على الصِناعة والنسج، وهذهِ الموادّ الأوليّة وما يُضاف إليها مِن كماليّاتٍ) كُلّ ذلك جاء مِن منابع الفيض، من الأسماء الحُسنى.

● {يواري سَوآتكم} السَوءةُ هُنا أعمُّ من العَورة.. يواري أي يُغطي ويُخفي.. وقوله : {وريشا} والريشُ هو ما يحتاجه الإنسان في شؤون حياتهِ اليومية (أثاثُ البيوتِ وسائر التفاصيل التي نحتاجها في مساكننا وفي منامنا وفي سائر تفاصيل الحياة المُختلفة..)

أمّا لبس التقوى فالحديث هنا عن لباسٍ معنويّ يذهبُ بعيداً في أغوار النفس الإنسانية.. كما عُبِرّ عنه في أحاديثهم الشريفةِ بالعَفاف.

● {ذلكَ مِن آيات الله لعلّهم يذكرون} ليس اللّباس هنا هو الآية مِن آيات الله.. المُراد هو هذهِ المنظومة المُتكاملة (إبداع الإنسان، قدرة الإنسان على الصناعة والفعل والخلق، المواد الأوليّة وما أودع الله فيها من قابلية إنفعال ومُطاوعة بيد الإنسان، المواد الأخرى

التي تُضاف إليها لتكميلها وتجميلها) يُمكن أن يكون هذا المعنى آيةً من آيات الله فيما حولنا ونحنُ نواصِل المسيرة على هذا التراب لنجد لوحةً جميلة تُرسم مِن حولنا ما بين المساكن التي تسترنا مِن الحرّ والبرد ومن الناس ومن الكائنات الأخرى.

● في سورة التكاثر {ثُمّ لتسؤلنّ يومئذٍ عن النعيم} إذا ما رجعنا إلى كلماتِ أهل البيت فإنّنا نجد في بعض الأحاديث أنّ المُراد مِن النعيم هنا: {الرطب والماء البارد} وهذا المعنى مَوجود أيضاً في روايات المُخالفين.

ولكن هناك رواياتٌ أخرى عندنا تقول: إنّ الله سُبحانه وتعالى أجلّ من أن يُنعِمَ على عبدهِ نعمةً ثُمّ يُحاسِبُهُ عليها.. وهذا هو المنطقي، فالكريم إذا جاءهُ ضيف فهو لا يُحاسِب ضَيفهُ على ما قدّم لَهُ مِن ضِيافة.. وإلّا فأيُّ كرمٍ هذا..؟!

النعيم هو (ولاية مُحمّد وآل محمّد).. لكنَّ هَذهِ النِعَم هي رُموزٌ تُشيرُ إلى ولايتهم.. ومَن لم يكنْ مُتنعّماً بولايتهم فإنّهُ مَسؤولٌ عن هذهِ النِعَم.

كما يقول صادق العترة عليه السلام في [الكافي الشريف :ج8]: (لو أنّ غير وليّ عليّ أتى الفرات وقد أشرف ماؤه على جنبيه وهو يزخُّ زخيخا، فتناول بكفّه وقال: بسم الله، فلمّا فرغ قال: الحمد لله، كان دماً مسفوحاً أو لحم خنزير). فهذا اللباس وهذا الريش يُذكّرنا بنعمتهم مِن جهة (فالأرض وما عليها للإمام).. و دلالةٌ عميقة في نفْسِ هذا اللّباس وهي أنّ هذا اللّباس زينةٌ للإنسان، وزينةُ الحقيقةِ في الإنسان: ولايةُ عليّ.

● زينة الأشياء "ولاية عليّ" وهذا المَعنى مَبسوط في كلمات المعصومين (زَيّنُوا مَجالسكم بذكْر عليّ) زِينةُ المَجالسِ ذِكْرُ عليّ. وزِينةُ مَظاهرنا هي لباسنا وثِيابُنا، وهذا اللّباس.. هذهِ الثيابُ تسترُ العَورة وتُجمّل الإنسان.. و هكذا هي ولايةُ الإمام المعصوم (أشهدُ أنّ بولايتك تُضاعف الحسنات، وتُمحَى السيّئات). هذه ولايةُ الإمام المعصوم.. فإنّ مُضاعفةَ الحَسَنات هي تجميل، ومَحو السيّئات هُو سَترٌ وسَتر.

فالمراد مِن أنّ هذه الثياب من آياتهِ سُبحانه وتعالى هو بملاحظة دلالتها.. عيوبنا ليس لها إلّا إمامنا، كما أنّ عيوبنا الجسديّة ليس لها إلّا هذه الثياب

■ وقفة عند حديث الإمام الباقر في [في تفسير البرهان: ج2] في معنى هذه الآية {يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سَوآتكم وريشا ولباسُ التقوى ذلك خير} يقول "عليه السلام": (فأمّا اللّباس فالثيابُ التي يلبسون، وأمّا الرِياش فالمَتاع والمال، وأمّا لباسُ التقوى فالعفاف، إنّ العَفيف لا تبدو له عورة وإن كان عارياً مِن الثياب، والفاجر بادي العَورة وإنْ كان كاسياً من الثياب).

● {ذلك خير} هذا اللّباس المعنوي خير يعني أنّه أخير.. فالخَيريّةُ في هذا اللّباس المعنوي كما قال إمامنا الباقر "عليه السلام": (إنّ العَفيف لا تبدو له عورة وإن كان عارياً مِن الثياب، والفاجر بادي العَورة وإنْ كان كاسياً من الثياب) هذا اللّباس هو (ولايةُ عليّ). التقوى في حقيقتها هي ولاية عليّ، لأنّ التقوى هي الوسيلةُ التي نتّقي بِها مِن نار جهنّم.. فليستْ التقوى هي الطقوسُ والأفعال.. الطقوسُ والأفعال هي مَظاهرٌ للتقوى. التقوى هي ولايةُ عليّ، ولكن الذي يُثبتُها ويُركّزها هي هذهِ الطقوس والتكاليف.. وما أشار لهُ إمامنا الباقر مِن أنّ التقوى هي العفاف.. فالعَفافُ هو مَظْهرٌ مِن مَظاهر ولاية عليّ. ولايةُ عليّ هي التي على أساسها يُثيبُ الباري ويُعاقب، فهي مِيزانُ الحُسْن والقُبْح.. الثواب والعقاب بولايتهم، والعفاف صُورة من صُور الحُسْن أصلها ومصدرها من المنبع الأكبر: وهو ولايةُ عليّ.

■ {يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرجَ أبويكم مِن الجنّة ينزعُ عنهما لباسهما ليُرِيَهُما سَوآتهما إنّه يَراكم هو وقبيلهُ - أتباعه وذريّته - مِن حيث لا ترونهم إنّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون}

● {ينزعُ عنهما لباسهما} ذلك لباسُ الولاية.. وإلّا فإنّ أبانا آدم وأُمّنا حوّاء ما كانا يَمتلكانِ الأجهزة التناسلية - كما مرّ - اللّباس كان لباساً جنانياً يتناسب وتلك المرحلة.. إنّه لباسُ الولاية.. فحين تسرّب الحَسَدُ وأكلا مِن شجرةِ العِلم التي تجلّتْ في شَجَرةِ الحِنطة من جهة وفي شجرة العنب من جهة أخرى، حينها سُلِبَ منهما لباسُ الولاية وهو الذي عُبِّر عنه بلباس التقوى.

● {يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان} لا تسمحوا للشيطان أن يقودكم إلى زوايا مُظلمة، وإلى مَطبّاتٍ لا تعرفون لماذا هي هُنا ولماذا جئتم إليها..!

النجاةُ في حَديثهم "صلواتُ الله عليهم" (كلامكم نور).. والنجاةُ أيضاً في التسليم لمحمّد وآل محمّد (مَن أرادَ أن يستكملَ الإيمانَ كُلّه فليقلْ: القَول مِنّي في جَميع الأشياء قول آل مُحمّد، فيما أسرّوا وما أعلنوا وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني). كعبتنا التي نطوف عليها هي (كلامكم نور) وأمّا كيفيةُ الطواف فنطوفُ ونَحنُ مُسلّمون.. كما نطوف حول الكعبة والقلوب باتّجاهها تسليماً لهذا الرمز. التسليم لابُدّ أن يكون في القلب، ثُمّ بعد ذلك يتعانقُ مع العقل. التسليمُ يُمكن أن يكون في العقل ولكن لا أَثَر له على حياة الإنسان؛ لأنّ العَقل لا يَملكُ القُدرةَ على التحريك وعلى البَعث الشديد.. الباعث الشديد للإنسان هو قلبه.

● {إنّه يَراكم هو وقبيلهُ} مرّ علينا في الروايات مِن أنّ إبليس طلب مِن اللهِ في جُملةِ ما طلب، طلب من الله أن يُسلّطهُ على وُلْد آدم، ومِن جُملة ما طلَب أيضاً هو أن يراهم (أي بني البشر) ولا يَرونه.
بعبارة موجزة.. آية مِن سورة الإسراء تُحدّثنا عن قَبيل إبليس: {قالَ أرأيتكَ هذا الذي كرَّمتَ عليَّ لئن أخرتنِ إلى يوم القيامة لأحتنكَنَّ ذُرِّيَتهُ إلّا قليلا* قال اذهبْ فمَن تبعكَ منهم فإنَّ جهنَّم جزاؤُكم جزاءً مَّوفورا * واستفززْ مَن استطعتَ منهم بصوتكَ وأجلبْ عليهم بخَيلكَ ورجلكَ وشاركهم في الأموال والأولاد وعِدْهم وما يَعِدُهم الشيطان إلّا غُرورا}

● {لأحتنكَنَّ ذُرِّيَتهُ} أقودهم كما تُقاد الدواب..! قبيلُ إبليس هُم الذين جاء ذِكرهم في أدعية نهارات شهر رمضان، حين يقول الدُعاء: (اللّهم صلّ على مُحمّد وآل مُحمّد، وأعذني فيه مِن الشيطان الرجيم، وهمْزه ولمْزه...) إلى أن يقول الدُعاء: (وشركه وأحزابه وأتباعه وأشياعه وأوليائه وشُركائه، وجميع مكائده). هؤلاء هم قَبيلهُ مِن الجنّ ومِن الإنس أيضاً..!

● {إنّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون - أي لا يؤمنون بمحمّدٍ وآل محمّد -}. يقول تعالى في كتابهِ الكريم: {اللهُ وليُّ الذينَ آمنوا يُخْرِجُهم مِن الظُلمات إلى النُور والذينَ كفروا أولياؤُهم الطاغوتُ يُخرجونَهم مِن النُور إلى الظُلمات أُولئكَ أصحابُ النار هُم فيها خالدون}

• القسم الأوّل من الآية {يُخرجهم مِن الظلمات إلى النور} واضح.. يُخرجهم (مِن ظلمات الكفر، الشرك، الضلال، ، الجهل، السفاهة والحماقة، الغيّ والغواية، ظلمات الذنوب...) فهذا القِسم واضح.

• أمّا القِسم الثاني مِن الآية {والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يُخرجونهم مِن النُور إلى الظلمات} الإمام الصادق يقول:
(وأيُّ نور للكافر وهو كافر فأُخرج منه إلى الظُلمات؟ إنّما عنى الله بهذا أنّهم كانوا على نور الإسلام، فلمّا أن تولّوا كلّ إمام جائر ليس مِن الله خرجوا بولايتهم إيّاهم مِن نور الإسلام إلى ظُلمات الكُفْر..). فهذا النُور الذي أُخرجوا منه هُو حِين أسلموا حِين كنّا في مَرحلةِ التنزيل ما قبل الغَدير، ولكنّ الشيطان أخرجهم مِن ذلك النُور حِين وصلنا إلى مرحلة التأويل (إلى مرحلة الغدير).. فخرجوا مِن النُورِ إلى الظُلمات!

■ {وإذا فَعلوا فاحشة - أي هؤلاء الذين لا يُؤمنون - قالوا وَجدنا عليها آباءنا واللهُ أَمَرَنا بها قُلْ إنَّ اللهَ لا يأمرُ بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون} لاحظوا الدقّة في تفسير القرآن عند آل محمّد. بحسب الثقافة المُستدبرة التي تعلّمناها مِن المُخالفين ومِن المؤسسة الدينية الشيعية.. حين نقرأ هذهِ الآية - بحسب الثقافة المُستدبرة - فإنّ الذهن يَذهبُ مُباشرةً إلى الذنوب (مِن الزنا، اللّواط، القَتل، الخمر، السرقة، الكذب.. وأمثال ذلك). رُبّما تعبير الآية {قالوا وَجدنا عليها آباءنا} يُكون سبباً في تصوّرنا أنّ المُراد مِن الفواحش هي هذهِ الذنوب.. ولكن إذا أكملنا الآية فهي تقول: {واللهُ أَمَرَنا بها} فهل تجد أحداً في الناس في كُلّ الأرض يقولون بأنّ الله يأمر بهذه الأفعال..؟! حتّى الذين لا دين لهم لا يَقولون بِهذا القول!
هذه الفاحشة هي عداءُ أهل البيت، هي إنكارُ إمامتهم.. الفاحشةُ الحقيقيةُ هي هذه.. والفواحش الأخرى تكونُ مظاهراً (وسيأتي الكلام عن الفواحش الظاهرة والباطنة في الآية 33 من سُورة الأعراف).

● وقفة عند حديث العترة في [بصائر الدرجات] في معنى هذه الآية:
(عن محمد بن منصور قال سألتهُ - أي سأل الإمام المعصوم - عن قول الله تعالى: {وإذا فَعلوا فاحشة قالوا وَجدنا عليها آباءنا واللهُ أَمَرَنا بها قُلْ إنَّ اللهَ لا يأمرُ بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون} فقال "عليه السلام": أرايتَ أحداً يَزعمُ أنَّ الله تعالى أمرَنا بالزنا أو شُربِ الخمور، أو بشيءٍ من المحارم؟! فقلتُ: لا. فقال: فما هذهِ الفاحشة التي يدّعون أنَّ الله أمرنا بها؟! فقلتُ: الله تعالى أعلم ووليّه. فقال: فإنَّ هذهِ في أئمةِ الجَور ادّعوا أنَّ الله تعالى أمرهم بالإئتمامِ بقومٍ لم يأمر الله بالإئتمام بهم، فردَّ الله ذلكَ عليهم وأخبرنا أنَّهم قد قالوا عليه الكذب فسمّى اللهُ تعالى ذلك منهم فاحشة) الآية لن تستقيم إذا فُسّرت بغير هذا المعنى.. لأنّه لا يُوجد أحد يقول أنّ الله أمرنا بالفاحشة.
وإنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمُنكر والفحشاء والمُنكر رجال وهُم أئمةُ الجَور كما جاءَ في كلماتِ العترة الطاهرة.. بِخِلاف ما جاءَ في تَفاسير النواصب وكذلك ما جاءَ في تَفاسير فُقهائنا ومَراجعنا الذين أعرضُوا عن تَفسير أهْل البيت للقُرآن.. و ركضوا وراءَ النواصب وفَسّروا القُرآن بِمَنهجيّة المُخالفين وذوقهم.. وبذلك نقضوا بيعة الغدير التي اشترطوا علينا فيها ألّا نُفسّر القرآن إلّا بِحديث أهل البيت فقط وفقط.

● {قُلْ إنَّ اللهَ لا يأمرُ بالفحشاء} الفحشاء : الخروج عن الحدود المنطقيّة، الخروج عن حدود الحكمة، الخروج عن حدود العقل، الخروج عن حدود الصواب وعن حدود الطهارة والنقاء.

■ {قل أمرَ ربي بالقِسْط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين }. القسط هو العدل، والعدل هنا هو الحكمة، والحكمةُ هي أنّنا لا نتجاوزُ الفطرة والعَقل والمنطق.. لا نتجاوز الحُسن إلى القُبح، أن نزن الأمور بموازينها وموازين الأمور عندهم "صلواتُ الله عليهم"

والقسط عنوانٌ يُذكّرنا بإمام زماننا بالحُجّة بن الحسن فهو الذي يَملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ ظُلماً وجورا - كما ورد في الروايات - ومِن أسماء إمام زماننا العَدل.. كما ورد في دعاء الافتتاح في شهر رمضان (اللّهمّ وصلّ على وليّ أمركَ القائم المُؤمّل والعَدْل المُنتظر)

● {وأقيموا وجوهكم عند كلّ مسجد} في الروايات وكُتب التفسير: أقيموا وجوهكم باتّجاه القِبلة.. هذا معنى من المعاني. ولكن المعنى الذي يُريده أهل البيت نجده في [تفسير العيّاشي] في حديث الإمام الصادق في قولهِ تعالى: {وأقيموا وجوهكم عند كلّ مَسجد} قال "عليه السلام": يعني الأئمة). نُقيم وُجوهنا باتّجاه محمّدٍ وآل محمّد، نتوجّه بقلوبنا وبعقولنا وبوجوهنا إليهم كما نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: (مَن أرادَ الله بدأ بكم، ومَن وحّدهُ قَبِلَ عنكم، ومَن قَصدهُ توجّه إليكم) وكما في دعاء النُدبة الشريف: (أينَ وجْهُ اللهِ الذي إليهِ يتوجّهُ الأولياء) يتوجّه الأولياء إلى وجه الله بإقامةِ وُجوههم، والمُراد مِن الوجوه: حقائقُ القلب، حقائقُ العقل، حقيقةُ ومضمون الإنسان بكلّه مُجملاً وتفصيلاً يُقيمهُ باتّجاهِ وجْه الله. هذا الحديث للإمام الصادق في معنى قولهِ: {وأقيموا وجوهكم عند كلّ مَسجد} حين قال "عليه السلام": (يعني الأئمة). هذه الكلمة المُهمّة سأُفصّل القَولَ فيها غداً. هذه الكلمة مُهمّة جدّاً لأنّنا إذا ما عشنا في أجوائها وتدبّرنا فيها فإنّ الحديث سيأخذنا إلى الثقافة الشيعية.. وأين هي المساجد في ثقافتنا الشيعية؟ ما هو المسجدُ في ثقافة آل محمّد.. وما هو المسجدُ في ثقافة الشيعة التي أخذوها مِن المؤسسة الدينية الشيعية ومِن مراجعنا وهم أخذوها مِن المُخالفين..! وسَترون بأمّ أعينكم بالأدلّة الصريحة مِن الكتاب الكريم ومن حديث العِترة أنّ ثقافتكم يا أشياع عليّ عن المسجد تُخالف ما يُريده أهل البيت بدرجة 100%. المسجد في الثقافة الشيعية لا عَلاقةُ له بمُحمّد وآل محمّدٍ..! ثقافة محمّد وآل محمّد عن المساجد ليستْ موجودة أصلاً وبالكامل وبالمُطلق في ساحة الثقافة الشيعية. وسأعرض لكم الروايات والأحاديث مِن أمّهات مصادرنا الشيعية، والسبب في ذلك: لأنّ المؤسسة الدينية غاطسة في الفكر الناصبي إلى أمّ رأسها وهي التي تضخُّ هذهِ الثقافة المُستدبرة في أذهان الشيعة.

● {وأقيمُوا وُجوهكم عند كلّ مسجد وادعوه مُخلصين لهُ الدين} هذهِ الآية فِيها إشارة واضحة إذا ما ذهبنا إلى سُورة البيّنة (التي هي سُورة عليّ وآل عليّ، وبعبارة أدق: هي سورة فاطمة "صلواتُ الله عليها وعليهم أجمعين"). جاء في الآية 5 من سُورة البيّنة {وما أُمِروا إلّا ليعبدوا اللهَ مُخلصين لهُ الدين حُنفاء ويُقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة} أنّ القيّمة هي فاطمة "صلواتُ الله عليها" كما جاء في أحاديث العترة الطاهرة.. هذا هو قرآن مُحمّد وآل محمّد "صلواتُ الله عليهم" وهم أعرفُ بقرآنهم.

فالقيّمةُ هي فاطمة الزهراء "صلواتُ الله عليها" كما نقرأ في زيارتها الشريفة: (وزَعَمنا أنّا لكِ أولياءٌ ومُصدّقونَ وصابرونَ لِكلّ ما أتانا به أبوكِ صلّى الله عليه وآله وأتى به وصيّه فإنّا نسألكِ إن كنّا صدّقناكِ إلّا ألحقتِنا بتصديقنا لهما لنبشّر أنفسنا بأنّا قد طهُرنا بولايتكِ)

● {قل أمرَ ربي بالقِسْط} القسط عند فاطمة؛ لأنّ الله تعالى يرضى لِرضاها ويَغضب لِغضبها.. لو يكن القِسْط (العدل، الحكمة، العلم الكامل المُطلق المعصوم) لو لم يكن عند الزهراء فكيف صارت ميزاناً..؟! لذلك هي قيّمة.

القيّمة أحدُ شؤوناتها أنّها مِيزان التقييم، هي التي تُقَيِّم .. ولذلك يَرضى الله لرضاها ويسخطُ لِسَخَطها.

■ {فريقاً هدى وفريقاً حقَّ عليهم الضلالة إنّهم اتّخذوا الشياطين أولياءَ مِن دُون اللهِ - يعني أئمة الجور دون أئمة الحقّ - ويَحسبون أنَّهم مُهتدون - أي يحسبون أنّهم يُحسنون صُنعا -}. وهذا المعنى ذكره الإمام الصادق في تفسير الإمام العسكري حِين وصف جمعاً كثيراً مِن مَراجع التقليد عند الشيعة بأنّهم أضرّ على ضُعفاء الشيعة مِن جيش يَزيد على الحُسين بن عليّ وأصحابه.. يعني أضرّ مِن أئمة الجور، فهم داخلون في هذه الآيات.

مِن أوصاف هؤلاء الفقهاء في حديث صادق العِـترة: أنّهم يتعلّمون بَعض علوم أهل البيت الصحيحة ثُمّ يُضيفون إليها أضعافها وأضعاف أضعافها مِن الأكاذيب على أهل البيت ويَعرضون ذلك على الشيعة على أنّه مِن علوم آل محمّد فضلّوا وأضلّوهم!

■ {يا بني آدم خُذوا زِينتكم عند كلّ مسجد وكُلوا واشربوا ولا تُسرفوا إنّه لا يُحبُّ المسرفين}. الآية تشتملُ على العديد من المعاني والمضامين.

(وقفة مُرور سريع على جانب مِن الأحاديث المعصومية الشريفة).

● (عن خيثمة بن أبي خيثمة قال: كانَ الحَسَنُ بن علي إذا قامَ إلى الصلاة لبِسَ أجودَ ثيابه، فقيل له: يا بن رسول الله، لم تلبس أجود ثيابك؟ فقال: إنّ الله تعالى جميل يُحبُّ الجَمال، فأتجمَّلُ لربّي، وهو يقول: {خُذوا زِينتكم عند كلّ مسجد} فأحبُّ أن ألبسَ أجودَ ثيابي). ومرّ علينا أنّ اللّباس والزينة رموز تكوينية تُشير إلى المنبع الأصل، تُشير إلى الولاية التي تُزيّنُ وتُضيفُ الجمال وتسترُ العُيوب.. ونَحنُ نقرأ في دُعاء السَحَر في شهر رمضان: (اللّهُمّ إنّي أسألكَ مِن جمالكَ بأجملهِ، وكُلّ جمالكَ جميل، اللّهمّ إنّي أسألكَ بِجمالكَ كُلّه).

إنّ الله جميلٌ، وأجملُ جمالهِ يتجلّى في الإسم الأعظم الأعظم الأعظم الذي خَلَقَهُ فاستقرّ في ظِلّهِ فلا يخرجُ مِنه إلى غيره. وجمال الإسم الأعظم يتجلّى في مُحمّدٍ وآل محمّد، وجمالُ مُحمّد وآل محمّد يتجلّى في هذهِ اللّحظة في إمام زماننا الحجّة بن الحسن "صلواتُ الله عليه".. الوجه الذي نتوجّه إليه، والجهةُ التي نُقيمُ وُجوهنا عِندها.

● {وأقيموا وجوهكم عند كلّ مَسجد} الوجوه تُقام وتنشدُّ إلى الجهة الجميلة.. نأخذُ الزينة والجمال في مَواطن الجمال.

■ أما الإسراف الذي أشارت إليه الآية {وكُلوا واشربوا ولا تُسرفوا إنّه لا يُحبُّ المسرفين} هذا الإسراف سنعود إليه.. ولكن بالمُجمل أقول: هناك قاعدة أعطانا إيّاها إمامنا الصادق تقول: (إنّما الإسراف فيما أفسد المال وأضرّ بالبَدن).

● وقفة عند حديث إمامنا الصادق "عليه السلام" في [التهذيب] في قولهِ تعالى: {خذوا زينتكم عند كلّ مسجد} قال "عليه السلام": الغُسُل عند لِقاء كُلّ إمام). المسجد هو الإمام، هو الجهة التي نتوجّه إليها في رُكوعنا في سُجودنا؛ لأنّه القبلة الحقيقية، هو الجهة التي نَصبها الله لنا.. فحين نسجد للهِ ونركعُ لله إنّنا نتّجهُ للمسجد الحقيقي والمسجدُ الحقيقي والقِبلةُ الحقيقية هي إمامُ زَماننا "صلواتُ الله عليه" . (ومَن أراد تفصيل أكثر فليرجع إلى حلقات [معاني الصلاة] من برنامج: الكتاب الناطق).

● {وكُلوا واشربوا ولا تُسرفوا إنّه لا يُحبُّ المسرفين} المُسرفون هم الذين يخرجون فيما يفعلون عن الحدّ المعقول، عن حدّ الحكمة.

● وقفة عند رواية الإمام في [الكافي الشريف: ج6] (عن أبي عبد الله، أنّه قال له بعض أصحابهِ: إنّا نكونُ في طريق مكّة فنُريدُ الإحرام فنَطلي، ولا تَكونُ مَعنا نُخالة نتدلّك بها مِن النُورة، فنتدلّكُ بالدقيق، وقد دَخَلَني مِن ذلكَ ما الله أعلمُ به - باعتبار أنّ الدقيق له حُرمة في ثقافتنا الشيعية - فقال الإمام: أمخافةَ الإسراف؟ قلتُ: نَعَم، فقال: ليس فيما أصلحَ البَدَنَ إسراف، إنّي رُبّما أمرتُ بالنَقي - أي الطحين الصافي جدّاً النقي مِن النُخالة - فيُلَت بالزيت - أي زيت الزيتون - فأتدلّكُ به، إنّما الإسراف فيما أفسدَ المال وأضرَّ بالبدن...)

● قوله: (فنريد الإحرام فنطلي) المُراد من الطلاء هي النُورة التي يُستحبّ للإنسان أن يطلي بها لإزالة الشعر الزائد مِن البدن.. وأمّا (النُخالة) فهي الحنطة المَطحونة التي تُنخَل بالمَناخل فما يَخرجُ مِن المناخل هو الطحين، وما يبقى في المَناخل هو (النُخالة).

● هذه الحادثة جميلة وتُحدّثنا عن شُؤونات الناس في ذلك الوقت، والإمام يضعُ لنا قاعدة تُبيّن لنا معنى الإسراف: (إنّما الإسراف فيما أفسدَ المال وأضرَّ بالبدن). هذه القاعدة أفضلُ مِصداقٍ لها هو التدخين.

أليسَ التدخين مَفسَدة للمال؟ ومفسدة للبدن؟ المُراد مِن إفساد المال أنّه يُنفَق في شيءٍ لا نَفْع فيه، بل إنّ التدخين هو إنفاقٌ في المضرّة للنفس وللآخرين أيضاً.. فلا غُبار على إضراره بالبَدن.

علماً أنّ هذا الكلام جاء في سياق العلاقةِ مع آل محمّد {يا بني آدم خُذوا زِينتكم عند كلّ مسجد وكُلوا واشربوا ولا تُسرفوا إنّه لا يُحبُّ المسرفين}

إذا ما أكلنا وشربنا مِن دُون الإسراف فهذا أيضاً هو جُزءٌ مِن الزينة، ولكن إذا أسرفنا فإنّنا خَرجنا عن حُدود الزينة.. وهذا يدلّك على أنّ التدخين ليس مِن الزينة، وعلينا أن نُجنّب مساجدنا عن هذه القذارة..!

■ {قل مَن حرَّم زينةَ اللهِ التي أخرجَ لعبادهِ والطيّباتِ مِن الرِزق قُلْ هي للذينَ آمنوا في الحياةِ الدُنيا خالصةً يومَ القيامة كذلك نفصّل الآياتِ لقوم يعلمون}. هذهِ المضامين ستتضحُ أكثر وأكثر حينما نتحدّث عن مَوقع المسجد في ثقافةِ الكتاب والعترة.

✤ أهمّ نقطةٍ تمتّ الإشارة إليها في هذهِ الحلقة هي في قولهِ تعالى: {وأقيمُوا وُجوهكم عند كلّ مسجد} عند كُلّ إمام، كما قال الأئمة.

بعبارة مُختصرة: حين يقول رسول الله: (زيّنوا مجالسكم بذكر عليّ) النبي يتحدّث عن المَجالس في المَساجد، والحُسينيات، المراكز الثقافية، والمَدارس والأماكن المُعدّة للتعلّم والتعليم.. فهذه الأماكن هي المِصداق الأوّل. ولكن مُشكلة مساجدنا أنّها تُعاني من مُشكلتين مع عليّ:

• المُشكلة الأولى: أنّه حِين يُذكر عليّ في الأذان والإقامة فيُذكر ويُنتقصُ مِن مقامه .. لأنّ ذكر عليّ واجب في الأذان والإقامة.. ولكن المؤسسة الدينية علّمتكم أن تذكروا عليّاً بشكلٍ ناقص مُجتزأ..! فلا ينطبق عليكم أنّكم تُزيّنون مَجالسكم بِذكر عليّ!

مساجدنا تُعاني مِن هذه المُشكلة.. إنّها تُسيءُ الأدب مع عليّ حين تذكر عليّاً بعنوان عدم الجزئية.

• والمُشكلة الثانية: أنّ مساجدنا وحُسينيّاتنا لا تأخذُ تفسير القرآن مِن عليّ، فهي بذلك تنقضُ بيعةَ الغَدير مع عليّ!